تـمّ تحميل هذا الملفّ من مكتبة الأديب الرّاحل رمضان لاوند | جميع الحقوق محفوظة © www.RamadanLawand.com

الأَديب و المُفكِّر الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَند
سيّد المنابر

الإسلام عند غير المسلمين

الحلقة (3)

باسم الله أبدأ ..

وفي ظل المصطفى عليه الصلاة والسلام يكون الحديث ..

وبهدي من دين الله يمضي الفكر يلتمس التوفيق .

أيها الأخوة .....

هذا حديث مؤرخ عن محمد والإسلام والمسلمين ..

وهو في حديثه مجرد تماماً من أي عمق روحي أو خلفية دينية ..فكلّ نظرته وكل دراسته وبالتالي كل عبارته خلاصة خبرة علمية في التاريخ جامدة أمام الوحي .. سلبية أمام الروح .. ماضية وحدها كمسكين حاد وسط زبد الأحداث التي أتى بها محمد وفرضها الإسلام وعاشها المسلمون .

إسمه كارول بروكلمان ..

ألماني عاش حياته استاذاً للغة العربية في جامعات ألمانيا ..

ومكانه بين المستشرقين شيخ المحدثين .

ولد عام 1868 ميلادية ..

وتوفي عام 1956 ميلادية ..

من أبرز دراسته العلمية : مؤلفان ..

الأول : كتابه في تاريخ الأدب العربي ويقع في جزئين وثلاثة ملاحق.

الثاني : كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية ويضم نحو ألف صفحة .

ولنقرع آذان شباب الجيل من المسلمين بحديث هذا الرجل .. كارل بروكلمان.. إنه مؤرخ يستحيل اتهامه بالإعجاب بمحمد كإنسان ولا بالإسلام كدين .. ولا بالمسلمين الأوائل كدعاة لدين الله الأحد والفرد الصمد.

إن بروكلمان يفرد فصلاً في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية عن أصنام الكعبة قبل الإسلام وفكرة الله الواحد القهار وكيف أضاء بها محمد ظلمات الجاهلية فيقول :

" إن وجود كثرة من الآلهة عند العرب: مناة آلهة القضاء والقدر – واللات الآلهة الربة السيدة– والعزى هو خالق الكون .. هذا الإله هو الله الذي لم ينقل العرب فكرته عن اليهود والنصارى كما يظن كثير من الدارسين .

ويمضي بروكلمان في حديثه عن هذا الإله الواحد فيقول :

وقبل أن يشرق الإسلام على العرب كانت عبادتهم عاجزة تماماً عن أن تملأ وجدانهم الديني، وبينما كان يتضاءل شأن هذه الآلهة كان يسمو ويتعاظم الشعور الديني العام المؤمن بالله الواحد القهار .

ويبرز بروكلمان أثر هذا الإيمان بالله القوي الجبار في تكوين شخصية العربي المستقلة وفيما أكدته قدرة ذلك النفر الصغير من أتباع محمد على الصمود لبطش الكفار حتى فرضوا لأنفسهم الانتصار، فنراه يبدي عجبه من هذا الإيمان الذي لم يقذف بأصحابه الى الرهينة أو السلبية أو الاتكالية وإنما على العكس مما توهمه فيه أصحاب النظرة السطحية يحرّض على ايجابية مستمرة في الحياة وصلت إلى اعتبار حياة المسلمين جهاداً في جهاد .

يقول شيخ المستشرقين المحدثين الألمان بروكلمان :

إن الله عند العرب رب العالمين العظيم .. يملك كل شيء ولا يملك معه أحد أي شيء .. لا مبدل لكلماته ولا راد لقضائه .. والبدوي يعتبر القضاء المحتوم إرادة الله الثابتة التي لا مبدل لها. والواقع أن هذا الاعتقاد بالقضاء لم يكن ليدخل في روع العربي الضعف والخور ولكنه على العكس كان يحفزه على بلوغ أهدافه من غير مساعدة علوية ويحمله إلى جانب ذلك على التقليل من أهمية الجهود البشرية كلها ..

ويصف كارل بروكلمان تعبد الرسول عليه الصلاة والسلام طوال السنوات التي سبقت نزول سيدنا جبريل بالوحي الإلهي المقدس، فنراه يناقش في موضوعية علمية تفكير نبي المسلمين وتأمله في مسائل الدين ، فشيخ المستشرقين المحدثين من الألمان يروي أن محمداً انصرف إلى التفكير في حقيقة الخالق في زمن مبكر من شبابه ولا يرى بروكلمان في ذلك عجباً ، ففي رأيه أن أصحاب النفوس الصافية والعقول الصائبة من أمثال ابن عبد الله تعجز أكاذيب العبادة الوثنية عن إطفاء ظمأهم الروحي وتقديم الإجابات المقنعة عن الأسئلة الكثيرة التي تضيء عقولهم وتشعل ظلام أرواحهم بأنوار الحقيقة الإلهية الخالدة .

ويفرق كارل بروكلمان بين جل أصحاب النفوس الصافية الباحثين عن الله الواحد القهار وبين محمد بن آمنة الذي اصطفاه الخالق سبحانه رسولاً إلى الناس أجمعين .. فنراه يسجل في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية أنه :

بينما كان بعض معاصري النبي كأمية بن أبي الصلت شاعر الطائف –مصيف مكة– يعيشون رافضين عبادة الأصنام متطلعين إلى وحدانية عامة ،كان محمد يتعمق في تأملاته وإذ أيقن بخلاصه الروحي من الأصنام التمس خلاص مواطنيه أيضاً من عقيدتهم الوثنية الفاسدة الفارغة، وكم تساءل في أعماق نفسه وضج من حوله بالسؤال : إلى متى يستمر فيهم الضلال ؟ وكأن في أعماقه هاتفاً يردد في سمعه دائماً أنه قريباً وقريباً جداً ستكون أنت يا محمد مدعو لأداء هذه الرسالة .

ورغم كل ما كتبه كارل بروكلمان عن نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام فإن الأصالة العلمية ألزمته أن يسجل احتراماً واعترافاً بالسمو الروحي لأسلوب الآيات الأولى التي نزلت من القرآن الكريم في السنوات الأولى من وحي جبريل عليه السلام .

ويأبى الحق إلا أن يبدو بين سطور كتاب شيخ المستشقرين المحدثين من الألمان مؤكداً نبوة محمد عليه الصلاة والسلام . فعندما أرخ كارل بروكلمان رغماً عنه لهزيمة الروم من الفرس في سوريا سنة 614 بعد الميلاد وابتهاج أعداء محمد المكيين بهذا النصر الفارسي على نصارى الروم وهم مثل محمد أهل كتاب،سجل بروكلمان إنذار القرآن الكريم بهزيمة الفرس من بعد الانتصار إذ نزل جبريل بالوحي على محمد بأول سورة الروم : بسم الله الرحمن الرحيم: "الم (1)غُلِبَتِ الرُّومُ (2)فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3)فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4)بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5)وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(6) صدق الله العظيم ..

ويمضي كارل بروكلمان في حديثه عن محمد والإسلام والمسلمين فنراه يتحدث عن تعاون المسلمين الأوائل على أعباء الحياة والجهاد. فيذكر المستشرق الألماني أن محمداً جمع من أتباعه ما أنفقه فى إعالة المحتاجين منهم، وأن صديقه الكبير أبا بكر أنفق ماله الكثير على الدعوة المحمدية وشراء حرية المسلمين من العبيد وأن القبائل المتقاتلة على مراعي الإبل لم تلبث بعد نزول الوحي على محمد أن التقت وتحابت وتآلفت في جماعة واحدة هى جماعة الأنصار والمهاجرين ترعاها وتزيدها قوة وقدرة ما وصفه كارل بروكلمان بظلال الحماية الإلهية..

ويعرض المستشرق الألماني الكبير للمعارك التي قاد فيها الرسول عليه الصلاة والسلام جموع المسلمين ويحلل فيها ما أحرزه الإسلام فيها من انتصار فنراه يقول بحذر المؤرخ الأجنبي وربما بعدائه الكامن في الأعماق..

وقرر محمد أن يسبق أبا سفيان إلى بدر وتقع على طريق القوافل وبها عين يتزودون منها بالماء. وهناك بدلاً من أن يلقى حامية القوافل هزيلة قليلة وجد محمد جيشاً قوياً كامل السلاح يبلغ ثلاثة أضعاف عدد ما معه من المسلمين، وكان على النبي أن يحشد جميع قدراته الملهمة لحمل رجاله على خوض معركة لا تتكافأ فيها القوى.. وسرعان ما استطاعت روح الدين الجديد التي غرسها في اتباعه الوحي الهابط عليه من السماء أن تحرز النصر على التفوق العددي العسكري الذي كان لخصوم محمد المكيين .

ولا يفوت كارل بروكلمان أن يسجل فتح مكة وتحطيمه لأصنام الكعبة وإلقاء مكة بنفسها على قدمي ابنها العظيم الذي اضطهدته وأتباعه قبل ثماني سنوات حتى اضطرته وأجبرتهم على الهجرة ، ويتابعه المستشرق الألماني إعجابه بمحمد وهو يدخل مكة ظافراً على خصوم دينه ومعذبي المسلمين، فنراه يسجل في كتابه "تاريخ الشعوب الإسلامية" كيف أن محمداً فتح قلبه لجميع من قاتلوه على الإسلام فلم يعاقب واحداً بالقتل مظهراً من التسامح ما أثار دهشة كثيرين من المسلمين المعذبين ..

ويرجع كارل بروكلمان شيخ المستشرقين المستحدثين من الألمان هذه السماحة المحمدية التي لم يألفها التاريخ الحديث والقديم من معذب انتصر على معذبه إلى إيمان محمد بأن الله لطيف رحيم .. مدللاً على ذلك بآيات من سورة النساء ..

قال تعالى وهو أصدق القائلين :

" وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا " صدق الله العظيم ..